لكن الامر يتعدى هذا الحد الى أبعد بكثير . فالكلام الذي اكتسب المغني حق التبشير به، بفضل انتصاره على القدماء وعلى الخيانة كذلك ، ان هذا الكلام يتفتح على **فعل** يشتمل على الجلد ، والمحاكمة ، والسجن والصلب . عند هذا الحد تتجاوز اللغة مجرد الكلام لتصبح لغة المسامير ، لغة ضحايا كفر قاسم الخمسين ، لغة الصليب الذي يتحول الى منبر وينشد لحنا اسمه : اغنية الدم . يحكم علينا بالاعدام لمجرد اننا تكلمنا ، وكذلك لان كلامنا ينبىء بمأساة الموت على الصليب . ان ذروة التجديد الذي تأتي به الاسطورة يظهر اذن في محتوى الفعل : الصلب في سبيل الحياة الجديدة التي نريدهـــا لمعشوقتنا ـــ فلسطين . ان الايمان بالموت والاستعداد الفعلي للتقدم اليه (بطريقة او بأخرى) ، هما شيئان جديدان في العالم العربي المعاصر . اننا نجد بعض السوابق لدى ابطال حرب الجزائر وفي دعوات مؤسسي حزب البعث .

اننا نجد انفسنا اذن في قلب المعنى العميق لكلمة : فدائي ـــ اي الذي يقدم نفسه للموت كفدية . ان محمود درويش لا يتلفظ ابدا بهذه الكلمة لكن الاسطورة العميقة التي تعطي معنى لهذه الكلمة هي كذلك التي تحرك كل شعر درويش وشعر رفاقه في الجليل . من الطبيعي اذن ان تجد الفدائيين ، خارج اسرائيل ، يغذون ايمانهـــم بنداء الصليب الذي يبشرهم به اخوهم من « الداخل » .

ان هذه الاسطورة هي اذن جديدة في اعتقادنا . وهي المصدر المباشر للايديولوجيات الفلسطينية بدرجات متفاوتة . انها الصدى والنداء الصادران من داخل فلسطين ذاتها ، فلسطين المسلوبة الضائعة المحكومة بالاعدام . وهذه الاسطورة هي قبل ذلك **سياسية** ايضا .

ان شعر درويش مثلا لا يتنبأ بالطبع بأشياء واضحة بالنسبة لمستقبل فلسطين ، لكن اسطورة الحياة التي تولد من الموت والتي تعاش جماعيا ، بحد ذاتها ، لها مدلول سياسي يقفز الى العيان خاصة في الدور الذي يلعبه **الخصم** (يطلق عليه غالبا ضمير « هم ») وفي كل مرحلة من مراحل الاسطورة الشعرية . ان الخصم هو الذي ينفذ حكم الاعدام بحق المغني يساعده في ذلك القدماء وحنينهم . وفي نهاية الاسطورة نجد ان الخصم هو الذي يغادر فلسطين قرفا من مهمته ، مهمة تنفيذ حكم الاعدام . اما **فلسطين** فانها تظل حية وتتجسد من جديد من اجل حياة جديدة ـــ (لا نعرف ما ستكون عليه) ـــ يستعد لها « أطفالنا الآتون » .

بين بداية المأساة ونهايتها هنالك الاغنية ، والسجن ، وفعل المقاومة . وهذه الاخيرة تجري الاشارة اليها في بعض القصائد التي تتحدث عن العاصفة وعن الصاعقة . ان فلسطين سوف تعود مطهرة من كل الرواسب القديمة بفضل حكم الاعدام الذي نفذه الخصم ، هذا الخصم الذي انتهى به الامر قرفانـــا . ان القصيدة تحث اذن على فعل المقاومة مع **الايمان** بحياة جديدة .

« من عاش بعد الموت

لو آمنت ... لا يموت »

ان العمق الذي تتميز به الاسطورة الفلسطينية التي تقول بالحياة الجديدة مـــن خلال الموت ، والتي انتشرت في الجليل بعد ٢٠ سنة من الاغتراب ، هي التي تعطي القوة للكفاح الفلسطيني ـــ بكل اشكاله ـــ وهي التي تعطيه كذلك قيمته الشمولية .

التقرير الموجه من مجموعة « الارض » الى الامين العام للامم المتحدة في ٢٣ حزيران ١٩٦٤

نحن ما زلنا في فلسطين المحتلة ، حول الناصرة .

لقد خلفت جماعة « الارض » عام ١٩٥٩ الجبهة الشعبية (العربيـــة) . وكانت هذه